تقديم

(بقلم سهيرّ يوسف صديق)

هذا الكتاب الذى أعده الأستاذ«أحمد جمال» عن الدور العظيم الذى قام به البطل «يوسف صديق» ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م والذى فجّر الثورة فى مصر وألغى الحكم الملكى الفاسد. اعتبر هذا الجهد الذى بذله هذا الكاتب وهو أحد أبناء مدينة الواسطى الذين تأثروا بشخصية البطل «يوسف صديق» وشرع يكتب عن دوره فى تغيير تاريخ مصر الحديث لمسة وفاء وعرفان. لقد بذل الكاتب الجهد الكبير الرائع فى البحث والتنقيب فى أوراق «يوسف صديق» ومعظم الكتب التى صدرت عن تاريخه وبطولاته والكثير مما كتب عنه فى الصحف والمجلات المصرية والعربية.

ولقد لفت نظرى القصائد التى اختارها الكاتب من ديوان (ضعوا الأقلام) الذى صـــدر عن (الأهرام) مثل قصيدة (رسول الغرب) التى يتحدث فيها عن زيارة «منزيس» للقاهرة وكيف أنه أعطاه درساً فى احترام وتقديس البلد الذى يقوم بزيارته واصفاً مصر بالعرين الذى يبهر من يزوره.

ومن القصائد الأخرى التى اختارها الكاتب قصيدة (استقبال

الصديق). وهو ابنى يوسف صديق الذى ولد أثناء وجود أبى بالسجن الحربى وزوجى الأستاذ «محمود توفيق» بسجن القناطر متمنياً لحفيده حياة أسعد وأجمل من الحياة التى جاءها عند مولده.

وفق الله الكاتب ليواصل دراسته عن الحق والعدل والديمقراطية.

بقلم: سهير يوسف صديق

□□□

لماذا كتبت عن يوسف صديق ؟

بدايةً.. لم أكن أتوقع أن أكتب في يوم من الأيام عن أى شخصية تاريخية أو سياسية وخصوصاً الشخصيات السياسية وذلك بسبب كونها غالبا ما يشوبها الغموض وتحيطها الأسرار وهو ما يتطلب من الكاتب أن يكون ملازما أو على الأقل قريبا من الشخصية ولكننى وجدت هذه الشخصية قريبة منى بل ملازمة لى روحياً. فربما هو قُرب روحى طبعه داخلنا ذات النيل الذى عشنا بجواره فى بلدة الواسطى. فها أنا أجده فى مذكرات محمد نجيب مظلوما مهضوم الحق على الرغم من دوره البطولى الذى أنكره المؤرخون، وها أنا أراه مرة أخرى فى مذكرات خالد محيى الدين وكأنه يشاور علىَّ وينادينى باسمى. وهاهى ذى المرة الثالثة -التى قررت فيها أن أكتب هذا الكتاب - حيث وقفت أمام اللوحة المعدنية المكتوب عليها «شارع البطل يوسف صديق» وأنا أحدق فيها وبدأ الاسم يهتز أمامى وكأنه يريد أن يخاطبنى ويحكى لى عن نفسه أكثر وأكثر ويطلب منى أن أكتب عنه وعن دوره فى تغيير تاريخ مصر الحديث وبدأت رحلة البحث والتنقيب..

وفى إيجاز سريع كانت الأسباب التى دفعتنى للكتابة عن البطل «يوسف صديق» ما يلى:

أولا: التهميش والإهمال التاريخى الذى تعرض له البطل «يوسف صديق» هو ورفاقه المخلصين من هذا الوطن بعد ثور ٢٣ يوليو ١٩٥٢. وهذا ليس بخفى على أحد وقد كان «يوسف صديق» هو أول سلسلة هذا التهميش ثم دارت الدائرة على البقية المخلصة وهذا ما نلحظه فى غيابهم من كل كتب التاريخ المدرسى وغيرها من الكتب الرسمية الخالية من أسمائهم، ويؤكد عليا خلو المتحف الحربى من تمثال ليوسف صديق مع أعضاء مجلس قيادة الثورة فى إنكار واضح وصريح لحقيقة تاريخية لا ينكرها إلا جاحد حتى قيام أولاده برفع دعوة قضائية أمام المحاكم وقد استجيبت دعوتهم وتم عمل تمثال للبطل بالمتحف الحربى.

أيضا يدلل على هذا التهميش قصة الكاتب «حلمى سلام» فى مجلة صباح الخير العدد ١٤٩٢ يوم ٩ أغسطس سنة ١٩٨٤ الذى التقط صورة جماعية لمجلس قيادة الثورة ليضعها فى مجلة المصور كهدية مع عدد فبراير ١٩٥٣ فإذا بـ «عبد الناصر» يتصل به ليلغى وضع الصورة وعندما سأله لماذا؟ أخبره عبد الناصر بأن هناك أناس سوف يختفون من المشهد ولا نريد أن يتعلق الناس بهم ثم بعد ذلك لا يجدونهم بيننا فيشعرون بالاختلاف والانقسام الحادث بيننا، وعندما سأله الصحفى عن أسماء هؤلاء الذين

وف يختفون من المشهد فكان من بين الأسماء «يوسف صديق» هذه القصة وقبلها الدعوى القضائية تؤكدان هذا السبب الرئيسى ذى دفعنى لكتابة هذه الكلمات لعلى أزيل بها بعض الغموض أقدم للقارئ مادة تاريخية موجزة ومبسطة عن حياة بطل سطر دمه جزءا من تاريخ مصر الحديثة..

ثانيا: الحس الأدبى العالى لدى «يوسف صديق» والظاهر فى شعره الذى جمع بعد وفاته فى ديوان «ضعوا الأقلام» وهذه حقيقة أدبية أخرى غائبة فى حياة «يوسف صديق» لم يعرفها الكثير وكونى محبًا للأدب بصفة عامة وللون الشعرى بصفة خاصة أردت أن أظهر هذا الجانب المضىء فى حياة البطل «يوسف صديق» الذى كتب قصائده بمداد من دمه على سطور الشجاعة والتضحية فى صفحات التاريخ المصرى.

ثالثا: أثناء قراءتى لثورة ٢٣يوليو وماتلاها من أحداث تيقنت حقا أن هذا التاريخ يعيد نفسه فليس الفارق بكبير من ثورة ٢٣يوليو ١٩٥٢ إلى ثورة ٢٥يناير ٢٠١١ فها هى ذى نفس الأزمات ونفس الإضرابات ونفس القضايا المثارة حول الدستور والأحزاب والحكومة وعلى الجانب الآخر ألمح «يوسف صديق» وهو يعيش بيننا ليقدم حلوله الديمقراطية والمدنية والتى ستظهر فيما بعد من

مطالبتـــه بتشكيـــل حكـــومة ائتلافيـــة من الوفد والإخوان والشيوعيين ثم مطالبته بعدم حل الدستور والحفاظ على الشرعية بل ومطالبته بترك الجيش للحياة السياسية وعودته السريعة إلى ثكناته للحفاظ على مدنية الدولة وهذا ماسنلحظه فى الفصول الآتية من الكتاب وهذا السبب يعطينا الدرس والعبرة فى المراحل الآتية عقب ثورة ٢٥ يناير.

رابعا: إحساسى بالفخر والسعادة كونى أنتمى لنفس بلد هذا البطل. فمنذ أن كنت صغيرا وأنا أقرأ لافتات شوارع بلدتى فإذا بى أجد اسم أحد هذه الشوارع هو شارع «البطل يوسف صديق» حيث إن مدينتنا عبارة عن ثلاثة شوارع رئيسية طويلة ومتوازية يتفرع منها باقى شوارع المدينة وكانت كالتالى شارع سعد زغلول وشارع أحمد عرابى وكلاهما كان معروفا لدى ولكن الشارع الثالث والأخير والذى كان يحمل اسم «البطل يوسف صديق» هو الذى كان غامضا بالنسبة لى وليس لى أنا فقط بل للكثير من أهل بلدتى فكثيرا ما سألت وكانت الاجابة.. لا أعلم .. وأعتقد أنه قد جاء الوقت لأجيب عن سؤال الطفل الموجود داخلى والذى مازال يسأل من هو «يوسف صديق»؟

أحمد جمال

الواسطى _ ٢٣ يوليو ٢٠١٢